٢ - الحاج خواجة كمال الدين

(١٨٧٠ — ١٩٣٢)

للأستاذ أرسلان بوهدانوكر

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

مسجد وكنج :

لقد اتصل به وبصديقه ورفيقه الشيخ نور أحمد ، أن فى ضاحية وكنج التى تبعد خمسين ميلا عن لندن ، مسجداً لا يشغله أحد ، ويكاد يصبح أنقاضاً لقلة العناية به . وقد بنت هذا المسجد صاحبة العظمة أميرة بهوبال بناء على رغبة المرحوم الطيب الذكر الدكتور هنرى ليتنر ، المستشرق الذى شغل فى بعض أوقاته فى الهند منصب المسجل فى جامعة البنجاب ، وبعد موته لم يعن أحد من ورثته بالمسجد فآل إلى الخراب عام ١٩١٣ ، فاغتم الشيخ أحمد نور وخواجة كمال الدين الفرصة واحتلا المسجد . ولكن ورثة الدكتور ليتنر طلبا إليهما إخلاءه ، فاستجار المسلمان المجاهدان بالسير عباس الذى كان فى ذلك الوقت يشغل منصب العضو المسلم فى مجلس سكرتيرية حكومة الهند ، فأوجد لهما التبرعات والمساعدات التى أرضت ورثة الدكتور ليتنر ، ولما أقبلت سنة ١٩١٣ كان خواجة كمال الدين إمام المسجد المسؤول عن إدارته ، واستقر على مقربة منه فى سكينة وسلام بقية الأيام التى عاشها فى بريطانيا ، ونقل مركز نشاطه إليه ، وسماه مسجد الشاه نسبة إلى جده حاكم بهوبال الحالى ، وافتتح للمرة الأولى منذ تشييده للمصلين

مجلة اسلامك ريفيو :

إبتدأ منذ سنة ١٩١٢ ينشر على نفقته الخاصة مجلة شهرية سماها « إسلامك ريفيو » ، ما لبثت أن لاقت انتشارا واسعا فى جميع بلاد المسلمين ، حتى فى النائية جدا منها . ولقد بلغنا أن هذه المجلة الإسلامية واسعة الانتشار فى الشمال الشرقى من التركستان الصينية . وفى السنة التالية أصدر مجلة باللغة الأردية . ليقرأها المسلمون فى الهند سماها (رسالة الإشاعة الإسلام) وظل يشرف على تحريرها حتى لبى نداء ربه عام ١٩٣٢

نشاطه

قال الدكتور يحيى رئيس الجمعية الإسلامية فى زانفون فى بورما من خطاب ألقاه فى مسجد وكنج أثناء حياة خواجة كمال الدين « لقد جذبت محاضراته المتعددة ، ومواعظه التى تحرك العواطف ، قلوبا مستعصية ، وراحت تلك الخطب والمواعظ تصل إلى كل جزء من الجزيرة البريطانية ، فى صور متنوعة من الكتب الصغيرة »

ولم يمض وقت طويل على نشاطه الجبار ، حتى اعتنق الإسلام أكثر من ألف رجل وامرأة من الإنجليز ، ومن بين هؤلاء المسلمين شخصيات مشهورة كاللورد هدلى ، بدأ حملته التى كانت تهدف إلى بناء مسجد (نيزاميا) فى لندن ؛ فتألفت لجنة برآسة اللورد هدلى كانت سببا مباشرا فى تأسيس الجمعية الإسلامية فى بريطانيا العظمى فى لندن ، وافتتحت أبوابها للمسلمين من أنحاء الأرض ، وبقى اللورد هدلى رئيسا لها حتى توفاه الله إلى رحمته عام ١٩٣٥

يذ الجلاد البذ فهو دفين ما إن به إلا الوحوش قطين

ثم أورد من القصيدة أبياتاً . ويبدو أن أبا تمام لم ينصف فى هذه القصيدة أيضا ، فقد ذكر صاحب معاهد التنصيص (١٢) أن المعتصم « أمر للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلثمائة ألف درهم ، جرت تفرقتها على يد ابن أبى دؤاد . فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفا ، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف » . وقصيدة محمد بن وهيب مطلعها :

طلول ومغانيها تناجيها وتبكيها

ومنها قوله :

بعثت الخيل ، والخير عقيد بنواصيها

قال أحمد بن أبى كامل : قلت لعلى بن يحيى بن المنجم : أولا تعجب من هذا الحظ ، يعطى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفا ، وبينهما كما بين السماء والأرض ؟ فقال : لذلك علة لا تعرفها ؛ كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان ، فلذلك وصل إلى هذه الحال

(١٢) معاهد التنصيص للعباس : ج ١ ص ٧٨

(الكلام بقية)

محمود عزت عرفة

إن نجاحه العظيم فى مثل هـذا الوقت القصير ليدعو إلى الدهشة والإعجاب . ففى عام ١٩٢٥ رافقه اللورد هدلى فى حجه الثانى إلى مكة . والآن وبعد سبعة وثلاثين عاما من هذا الجهاد المقدس ، قد لا نستطيع أيضا إدراك المتاعب التى كان يلاقيها من يدعو للإسلام فى إنجلترا قبل الحرب العالمية الأولى . ولعل مولانا محمد على — مترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية ورئيس الجمعية الإسلامية فى لاهور بالباكستان — استطاع فى ذلك الوقت وصف هذه المصاعب حين قال : « هنا كان إنسان من شعب محكوم فى طريقه إلى الأمة التى حكمت بلاده ، يتجه من بلاد مازالت تعد فى أسفل درجات سلم الحضارة إلى بلاد تقف على قمة ذلك السلم ، ليحول سكان هـذه البلاد الراقية ، إلى دين قومه ؛ يحول الناس عن الديانة التى تعتبر عاملا أساسيا فى تقدم أوروبا فى الناحية العلمية والمادية والسيطرة على الدنيا ، إلى ديانة أصبحت لديهم مرادفة للانحطاط والجهل والذل » .

نشاطه الأولى :

لقد كان بعيد النظر جدا حين بقى بعيداً عن السياسة ، ولم يرفع عقيرته حتى رأى الخطر يقترب من الإسلام ، ولكنه كان لا يسكت إذا مس إنسان الإسلام من قريب أو من بعيد . ولذلك ألف كتابين فى الرد على بعض الجماعات الإنجليزية حين تعرضت للاسلام وهما : (الهند فى الميزان) و (البيت المقسم)

وفى سنة ١٩١٧ اتخذ المدة لطبع ترجمة محمد على للقرآن — فى وكنج ، وهو عمل له خطورته البالغة فى ذلك الوقت. أما آثاره الأدبية فتزيد على مائة كتاب معظمها عن الإسلام والأمور الدينية الأخرى ومن خير مؤلفاته :

(١) مصادر الديانة المسيحية (٢) النبى الثانى (٣) نحو الإسلام (٤) إنجيل العمل

تعمقه فى دراسة القرآن الكريم :

وزيادة على ما ألف ، فقد كان يعد كتابا ضخما سماه « تعليقات على القرآن الكريم » الذى لم يتمه ، وكانت سعة اطلاعه على القرآن موضع إعجاب معاصريه وتقديرهم . فلقد قال عنه الشيخ حسن مشير كدواى : « إن قوة خواجة كمال الدين كانت تنبعث من الكتاب المعجز — القرآن الكريم ، لقد درس القرآن دراسة عميقة على الرغم من أنه من غير العرب ، وكل أحاديثه كانت مستمدة منه » وقال عنه اللورد هدلى : « لم يسبق لى أن رأيت إنسانا قبله ، فى مقدوره التعبير عن آيات الله المعجزات فى سهولة لم يتحها إلا للأنبياء والمرسلين »

محاربته الطائفية

وميزة كبرى من ميزات خواجة كمال الدين هى أنه — وهو يدعو لنشر الإسلام — قد نجح إلى حد بعيد فى إزالة النعرات الطائفية من نفوس المسلمين الذين كان يتصل بهم ، وقد وصف هـذا العمل تلميذه ومساعده المستر يعقوب خان ، رئيس تحرير صحيفة (ليت) التى تصدر الآن فى الباكستان باللغة الإنجليزية بقوله : « لا طائفية فى الإسلام » ، كانت هذه الجملة شعاره فى الحملة التى قام بها خواجة كمال الدين ، فأصبحت وكنج ملتقى الطوائف من المسلمين من السنيين ، والشيعة ، والوهابيين ، والأحمديين ؛ يجتمع كل أولئك إخوانا على سرر متقابلين ، فكان منظر هذه الوحدة موضع إعجاب الإنجليز ، وهو بعمله هذا قد ضرب مثلا رائعا للمسلمين، فمهد بذلك الطريق إلى نهضة الإسلام التى تأخذ طريقها إلى عالم الوجود . »

نشاطه فى أوربا :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، أخذ تأثيره يمتد إلى ما وراء الجزيرة البريطانية ؛ حتى عم جميع أوربا ، فكان معروفا فى فرنسا ، وألمانيا ، وبلجيكا التى زارها عدة مرات . وكان من أثر الدعوة إلى الإسلام باللغة الإنجليزية فى بريطانيا أن تأسيس مركز فى برلين للجمعية الإسلامية الباكستانية ، ولم تمض نهاية سنة ١٩٦٠ حتى شيد مسجد فى عاصمة الألمان على نفقة تلك

الجمعيـــة ، وتأسس فى باريس مسجد آخر من تأثير خواجة كمال الدين ، لأن فرنسا — وهى دولة استعمارية تحكم عددا من المسلمين — لاتحب أن تسبقها بريطانيا وألمانيا فى هذا المضمار . أما أقطار أوربا الأخرى ، فنعرف أن تأثيره امتد حتى شمل بولندا ، فترجم أحد مؤلفاته عن الإسلام إلى اللغة البولندية فى نهاية عام ١٩٣٠

نشاطه فى بلاد الإسلام

لقد امتدت جذور نشاطه فى بلاد الإسلام أكثر من امتدادها فى أوروبا ، وخاصة فى أفريقيا وآسيا ، القارتين اللتين تعرضتا لتيار عنيف من الثقافة البريطانية ، فكانت مجلته إسلامك ريفيو تلاقى انتشارا واسعا بين المسلمين . وقد زار عدة مرات بلاد الإسلام وخاصة فى مواسم الحج حيث زار الأماكن المقدسة حاجا مرتين ، عام ١٩١٠ ، و١٩٢٣ . ثم قام برحلة طويلة وصل بها إلى سنغافورا وجاوا ، وكان يقابل بالترحاب فى كل دولة وخاصة فى مصر المضيافة العظيمة ، إذ استقبل فيها استقبالا حارا ، واستمعت إلى فصاحته جماهير غفيرة من المسلمين وهو يتدفق كالسيل عن الدين الحنيف

أيام الأخيرة

أخذت صحته تنهار حوالى سنة ١٩٢٧ من جراء نشاطه الجبار ، وعمله الضنى ، فترك إنجلترا راجعا إلى مسقط رأسه فى بلاد الهند . وقبل أن يغادر بريطانيا ألف مجلس أمناء لرعاية المسجد ، ووقف جميع ما يملك ، وتقدر قيمته بمائة وخمسين ألف روبية ، على الجمعية الإسلامية فى وكنج ، وحول إلى هذه الجمعية كافة الحقوق المتعلقة بطبع مؤلفاته أو ترجمتها ، وكذلك مجلة إسلامك ريفيو

وزاد عليه المرض وألح ، فانحطت قواه ، وراح يعانى آلاما مبرحة من أمراض صدرية احتملها بصبر عجيب وجلد نادر ، مدة خمس سنوات . وعلى الرغم من تعاليم الأطباء المشددة بوجوب الإخلاد إلى السكينة ، فإنه لم يرتح دقيقة واحدة ، وعلى الرغم من عدم استطاعته حمل اليراع ، فقد كان يملى البحوث الضافية ، والمقالات الرائعة ، حتى الكتب ، عن الإسلام . وقبل موته بساعات فى مدينة لاهور بالباكستان فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٢٣ الموافق أول رمضان عام ١٣٥١ هجرية أملى آخر فقرة من تعليقه على القرآن الكريم ، وقد نشر ذلك التعليق فى عدد إسلامك ريفيو الصادر — فى إبريل — عام ١٩٣٣ . وحتى النفس الأخيرة من تلك الحياة المجيدة ، عمل جاهدا فى سبيل الإسلام ومات وكانت آخر الكلمات التى ودع به الدنيا تدور حول الجهاد العظيم فى مسجد وكنج تحت راية الإسلام . رحمه الله رحمة واسعة

الكلام صفة

على محمد سرطاوى

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة